المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 14A آب 2024
No.14A Aug 2024

دور الاوقاف الإسلامية في اقتصاد الدولة العثمانية

م. م عبير عهد قاسم
مديرية تربية ذي قار / الناصرية / العراق
م. م زهراء سعدون زاجي
قسم تكنولوجيا المعلومات / كلية علوم الحاسوب والرياضيات/جامعة ذي قار / الناصرية / العراق
07831034505
zahraa1797sadoon@utq.edu.iq

ملخص

قامت الدولة العثمانية على اساس الغزو والجهاد ، ولهذا السبب سخرت اموالها وجميع امكانياتها من اجل تلبية احتياجات الجيش وجعله جيش متمكن قادر على الجهاد والفتوحات ومن اجل ذلك اصبح النظام المالي والاداري للدولة العثمانية مركزياً للغاية ، ومما يجدر الاشارة اليه ان الدولة حشدت كل مواردها لخدمة الشؤون العسكرية تاركة الخدمات الاجتماعية تعتمد بشكل اساسي على الاوقاف ، وعلى الرغم من أن الحكومة قامت ببناء عدد من الطرق والجسور والحصون والثكنات وغيرها، إلا أن جميعها كانت مرتبطة بشكل مباشر بالأغراض العسكرية ، ولم تقم الحكومة أبدًا بإنشاء المدارس ، والمساجد والمستشفيات والزاوية والخانات والحمامات، والينابيع، والشوارع وما إلى ذلك من ميزانيتها ، وكان واجب الحكومة هو توفير الحياة والأمن المالي للأمة، وإحلال السلام، والحفاظ على الحدود وإقامة السيادة ، ويتبادر الى الذهن كيف تم بناء آلاف المساجد والجسور والخانات والمدارس والزوايا والقصور في الأناضول وأوروبا ودول البلقان والعراق وفلسطين وحتى اليمن ؟ ونجد جواب لهذا السؤال في فلسفة الأوقاف ، وجميع الأعمال التي تم ذكرها وتم بناؤها في هذه الدول قبل عام 1918م، كلها ذات أصل وخلفية تركية وتم بناؤها من قبل الأفراد وعن طريق الوقف ، في الماضي كانت الأعمال التي يبنيها الأفراد تلبي احتياجات المجتمع، ولم تخصص ميزانية الحكومة أموالاً لإنشاء المدارس والجسور والطرق والمكتبات وغيرها إلا بعد فترة التعديل. وقد عرف الوقف قديما منذ بداية الدعوة الاسلامية واستمر الى ان وصل الى الدولة العثمانية التي كان لها الدور الكبير في انشاء الوقف والاعتماد عليه بشكل كبير في ادارة امبراطوريتها التي دامت 6 قرون وقد كان لمؤسسة الوقف الدور الكبير في تقديم الخدمات للمجتمع وتعبيد الطرق وبناء الجسور والمدارس والمستشفيات والكثير من الخدمات التي لم يكن باستطاعة الدولة توفيرها لولا وجود الاوقاف وتنوعت الاوقاف بين اوقاف نقدية واوقاف اراضي واقطاعات وغيرها ، حتى في مجال اللغة والثقافة والفلكلور ولم تترك مجال من مجالات الحياة الا دخلتها وقدمت الخدمات لاهلها وبفضلها استمرت خدمات التعليم والصحة وتعبيد الطرق وبناء المدارس والمساجد الى وقتنا الحاضر على الرغم من هذه الاوقاف كانت تدار وتمول من قبل اشخاص عاديين قبل ان تقوم الدولة العثمانية بتشكيل وزارة لها تدار من قبلها. وباختصار ، في الدولة العثمانية كان الإيقاع والتوازن الاجتماعي للمجتمع يتم توفيره من قبل المجتمع نفسه، وقد تحققت هذه الممارسة في ظل تقليد إنشاء الأوقاف.

كلمات مفتاحية : الاوقاف ، الاقتصاد ، الدولة العثمانية

The role of Islamic endowments in the economy of the Ottoman state

A. L. Abeer Ahed Qasim
Directorate of Education of Dhi Qar / Nasiriyah / Iraq
A. L Zahraa Saadoon Zaji
Department of Information Technology / College of Computer Science and Mathematics / University of Thi Qar / Nasiriyah / Iraq
07831034505
zahraa1797sadoon@utq.edu.iq

Summary

The Ottoman Empire was founded on the basis of conquest and jihad, and for this reason it devoted its money and all its capabilities to meet the needs of the army and make it a capable army capable of jihad and conquests. For this reason, the financial and administrative system of the Ottoman Empire became highly centralized. It is worth noting that the state mobilized all its resources to serve military affairs, leaving social services to depend mainly on endowments. Although the government built a number of roads, bridges, forts, barracks, etc., all of them were directly linked to military purposes. The government never established schools, mosques, hospitals, corners, inns, baths, springs, streets, etc. from its budget. The government's duty was to provide life and financial security. For the nation, establishing peace, preserving borders and establishing sovereignty, and it comes to mind how thousands of mosques, bridges, inns, schools, corners and palaces were built in Anatolia, Europe, the Balkan countries, Iraq, Palestine and even Yemen? We find the answer to this question in the philosophy of endowments, and all the works that were mentioned and were built in these countries before 1918, all of them are of Turkish origin and background and were built by individuals and through endowments. In the past, the works that individuals built met the needs of society, and the government budget did not allocate funds to build schools, bridges, roads, libraries, etc. until after the period of amendment. Endowments were known in ancient times since the beginning of the Islamic call and continued until it reached the Ottoman Empire, which had a major role in establishing endowments and relying on them greatly in managing its empire that lasted for 6 centuries. The endowment institution had a major role in providing services to society, paving roads, building bridges, schools, hospitals, and many services that the state would not have been able to provide without the existence of endowments. Endowments varied between cash endowments, land endowments, fiefdoms, and others, even in the field of language, culture, and folklore. It did not leave any area of life without entering it and providing services to its people. Thanks to it, education and health services, paving roads, building schools, and mosques continued to the present time despite these Endowments were managed and financed by ordinary people before the Ottoman Empire formed a ministry to manage them. In short, in the Ottoman Empire, the rhythm and social balance of society were provided by society itself, and this practice was achieved under the tradition of establishing endowments.

Keywords: Endowments, Economy, Ottoman Empire

تمهيد

قامت الدولة العثمانية على اساس الغزو والجهاد ، ولهذا السبب سخرت اموالها وجميع امكانياتها من اجل تلبية احتياجات الجيش وجعله جيش متمكن قادر على الجهاد والفتوحات ومن اجل ذلك اصبح النظام المالي والاداري للدولة العثمانية مركزياً للغاية ، ومما يجدر الاشارة اليه ان الدولة حشدت كل مواردها لخدمة الشؤون العسكرية تاركة الخدمات الاجتماعية تعتمد بشكل اساسي على الاوقاف ، وعلى الرغم من

أن الحكومة قامت ببناء عدد من الطرق والجسور والحصون والثكنات وغيرها، إلا أن جميعها كانت مرتبطة بشكل مباشر بالأغراض العسكرية ، ولم تقم الحكومة أبدًا بإنشاء المدارس ، والمساجد والمستشفيات والزاوية والخانات والحمامات، والينابيع، والشوارع وما إلى ذلك من ميزانيتها ، وكان واجب الحكومة هو توفير الحياة والأمن المالي للأمة، وإحلال السلام، والحفاظ على الحدود وإقامة السيادة ، ويتبادر الى الذهن كيف تم بناء آلاف المساجد والجسور والخانات والمدارس والزوايا والقصور في الأناضول وأوروبا ودول البلقان والعراق وفلسطين وحتى اليمن ؟ ونجد جواب لهذا السؤال في فلسفة الأوقاف ، وجميع الأعمال التي تم ذكرها وتم بناؤها في هذه الدول قبل عام 1918م، كلها ذات أصل وخلفية تركية وتم بناؤها من قبل الأفراد وعن طريق الوقف ، في الماضي كانت الأعمال التي يبنيها الأفراد تلبي احتياجات المجتمع، ولم تخصص ميزانية الحكومة أموالاً لإنشاء المدارس والجسور والطرق والمكتبات وغيرها إلا بعد فترة التعديل .

وباختصار ، في الدولة العثمانية كان الإيقاع والتوازن الاجتماعي للمجتمع يتم توفيره من قبل المجتمع نفسه، وقد تحققت هذه الممارسة في ظل تقليد إنشاء الأوقاف. تأسست الاوقاف من اجل تقديم الخدمات المختلفة للانسان والحيوان ، ولا شك أن عمارة الاوقاف افضل الاعمال كما قال الشيخ ابو عبد الله المغربي[1] ، وقد كان للحكومة العثمانية النصيب الاكبر في هذا الأمر، فبالإضافة إلى بناء المؤسسات الاجتماعية، عملت على تشغيلها وقامت بدور الحافز لأن الملوك وأفراد العائلة المالكة والأمراء كانوا على رأس الأوصياء ،وقد كان السلطان " أورخان غازي" ثاني سلاطين الدولة العثمانية، هو من المؤسسين الاوائل لنظام الاوقاف ، فقد أمر أورخان غازي ببناء "إزنيق" أول مدرسة بنيت في الدولة العثمانية [2]، وقام بايقاف لها من الاموال العقارات لتسدّ حاجاتها من النفقات و المصاريف كما كان له عدة من الاوقاف قد عين عليها العالم الفاضل زين الدين محمد شاه الفناري الذي تولى اوقاف عمارة السلطان بايزيدخان بمدينة بروسة ومتولي باوقاف عمارة اورخان بالمدينة المزبورة [3]، وقام السلاطين اللاحقون بدورهم ببناء المساجد الكبيرة والمجمعات والمستشفيات والقصور وغيرها ، وشجعهم الأمراء ورجال الدولة على بناء مثل هذه المؤسسات، ولم يكن أحد من الملوك ورجال الدولة يأخذ من خزانة الدولة دينارًا مقابل هذا العمل ، وشجعت أفعالهم أفراد المجتمع أيضًا، حتى تنوعت الاوقاف من تأمين الزواج للفتيات وتجهيزهن وبناء المدافن والمساجد والمدارس وتعمير واصلاح الابنية وشق الطرق وبناء المكتبات وتحديد رواتب للعاملين عليها وشق القنوات وبناء المنازل لراحة الحجاج ومعالجة المرضى وبناء المستشفيات ويجري في هذه المشافي علاج المرضى من غير تمييزٍ في لون أو عرق أو دين، ويجري كذلك تأمين الأطباء، كما يتم تقديم الدواء مجانًا إن لزم الأمر، وتقديم وجبة أو وجبتين من الطعام يوميًّا في العمارات لأبناء السبيل والمسافرين والفقراء والمساكين ، وقد كانت مؤسسات الأوقاف من العناصر المؤثرة التي استطاعت الارتقاء بأنماط العيش وتأمين الحاجات الاجتماعية لكل الناس الذين كانوا يعيشون في الدولة العثمانية حتّى في المناطق النائية و كان للمرأة الدور البارز في الاوقاف وكانت نساء البلاط تتنافس فيما بينها للتبرع بالاوقاف وفي القرن الحادي عشر كان 30% من الاوقاف تعود للنساء ، وكان الواقفون هن زوجات وبنات وامهات السلاطين والطبقة العليا المتنفذة بالمجتمع ، وكانت الاوقاف تسمى باسمائهن فمثلا مدرسة ام السلطان سليم في طرابزون ومدرسة زوجة السلطان سليمان في القسطنطينية [4].

تعريف الوقف اصطلاحاً

[1]. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11، ص133
[2] . الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، ص8
[3]. الشقائق النعمانية ،ص238
[4]. الشقائق النعمانية ،ص366

الوقف هو مصطلح إسلامي، لغويا يعني الحبس أو المنع، واصطلاحاً هو "حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح . قال رسول الله صل الله عليه واله " إذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينتفع به ، او صدقة تجري له ، او ولد صالح يدعوا له " 5.

ويشمل الوقف الأصول الثابتة كالعقارات والمزارع وغيرها، ويشمل الأصول المنقولة التي تبقى عينها بعد الاستفادة منها كالآلات الصناعية والأسلحة أما التي تذهب عينها بالاستفادة منها فتعتبر صدقة كالنقود والطعام وغيرها. ويختلف الوقف عن الصدقة في أن الصدقة ينتهي عطاؤها بأنفاقها، أما الوقف فيستمر العين المحبوس في الانفاق في أوجه الخير حتى بعد الوفاة 6 .

تعريف الوقف لغة

الوقف في اللغة: الحبس ، وفي الاصطلاح الشرعي: حبس الأصل وتسبيل الثمرة، وهو تعريف مأخوذ من الحديث الشريف وهو قوله صل الله عليه واله :حبّس الأصل وسبّل الثمرة 7، أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله تعالى ، وكان الوقف يسمى صدقة أو حبساً، ثم شاع اسم الوقف وانتشر، ولا تزال الأوقاف في بلاد المغرب تسمى أحباساً 8 ، والاقاف اموال الله تعالى تعمر وترمم وتؤجر وتأخذ من ايدي الظلمة وتثبت احكامها ويشهر اشهار لمنع الاستيلاء عليها وتجمع الغلة وتصرف وفق الشروط وتحمى من الفساد وتكون كل الاوقات تحت الاشراف [9] ، والموقوف هو كل مملوك متعين نستحصل منه فائدة او نفع ، فيجوز وقف العقارات والاشجار المثمرة والحيوانات لالبانها واصوافها والاراضي للانتفاع منها ولا يجوز وقف الحر لنفسه ولا يجوز وقف الدار المستأجرة ويجوز وقف الحلي للتزين بها ولا يجوز وقف الطعام لان منفعته في استهلاكه [10].

أنواع الوقف:

يظهر لنا بعد التتبع أن الوقف أربعة أنواع نبينها فيما يأتي :

1. الوقف الديني البحت: وهو يختص بدور العبادة وأماكن الصلاة، وهذا النوع عرفته جميع الشعوب منذ القدم، ومن ذلك : المساجد والكنائس والبِيع و غيرها 11.

2. الوقف الذري أو الأهلي: وهو الوقف الخاص على الأولاد والأحفاد والأقارب، أي ما تختص منفعته بهم دون غيرهم .

3. الوقف الخيري: وهو الوقف العام على أبواب الخير من طلاب العلم والفقراء والمحتاجين، وغير ذلك من المنافع العامة .

---

[5] بحار الانوار ، العلامة المجلسي ،ج2، ص23

[6] ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/١ ،٢٠٠٠م، مادة (وقف)

[7] ابن ابي جمهور ، عوالي اللئالي العزيزية ، ج2 ، ص260

[8] ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/١ ،٢٠٠٠م، مادة (وقف).

[9] رفيق العجم ،موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي ،ص37

[10]. رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات الامام الغزالي ، ص785

[11]. أحمد محمد عبد العظيم ،مصدر السابق ، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، ، ص ٢٣

4- الوقف المشروط: وهو الذي اشترط فيه موقفه شرطاً، كـأن اشـترط أن يأكـل وذريته منه، أو شرط وقفه لجهة معينة: كأيتام فقط، أو بني فلان فقط، أو طلبـة فقه فقط، ونحو ذلك 12.

وهناك نوع من انواع الوقف المستثناة وهو الذي جرى استخدامه في العصور المتأخرة من الدولة العثمانية ويقصد به ان الوقف يدار من قبل متوليها مباشرة دون تدخل وزارة الاوقاف في ادارتها ، وكذلك الاوقاف المضبوطة ويقصد بها الاوقاف التي تدار من قبل نظارة الوقف وهي على ثلاثة انواع :-

القسم الاول : اوقاف السلاطين ومتعلقاتهم وهي تدار من قبل نظارة الاوقاف نيابة عن السلطان .

القسم الثاني : الاوقاف التي تدار من قبل وزارة الاوقاف وتقوم دائرة الاوقاف مباشرة بادارتها .

القسم الثالث : الاوقاف التي كفت ايدي متوليا عن ادارتها بعد تخصيص رواتب لهم وصارت تدار من قبل دائرة الاوقاف مباشرة .

كما وهنالك الاوقاف الملحقة وقد تم استخدام هذا المصطلح في الازمان المتأخرة للدولة العثمانية ويقصد انها احيلت تحت اشراف وزارة الاوقاف مع وجودها في حوزة متوليها الذي عينه الواقف نفسه لتوليتها [13].

خصائص الوقف الاسلامي

تميز الوقف في الإسلام بخصائص عدة أكسبته الأصالة والافتراق عن غيره من أوقاف غير المسلمين، ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي :

1. النية والقصد :فقد كان الدافع الأول لأُمتنا في وقف عمل الخير هو السمو الإنساني الخالص الله وابتغاء وجهه الكريم، والتجرد عن حظوظ النفس، بينما نجد طلب الجاه وانتشار الصيت هو الدافع الأكبر للغربيين نحو المبرات الإنسانية العامة .

2. شمول الانتفاع :حيث إن الوقف وعمل الخير عند المسلمين يشمل كل الناس بقطع النظر عن الجنس أو اللغة أو البلد أو المذهب، بينما يكون عند الغربيين قاصراً على أبناء بلادهم أو مقاطعاتهم .

3. التنوع :فنجد الوقف وعمل الخير عند المسلمين متنوعاً وشاملاً للإنسان والحيوان والطير بشكل يبعث على الدهشة والإعجاب في وجوه من الخير والتكافل لم يعرفها الغربيون حتى اليوم [14] .

4. الديمومة :فالوقف وعمل الخير عند المسلمين يكتسب صفة الاستمرارية على المدى الطويل في حياة الإنسان وبعد موته؛ لأنّه من الصدقات الجارية كما تقدم في حديث «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة...»، وهذا من فضل الله على هذه الأُمة .

5. التقنين :وذلك أنّنا نجد في أبواب الفقه الإسلامي باباً خاصاً بأحكام الوقف وأقسامه، وما يترتب على كل قسم من مسائل وفروع، بل قد أُلِّفت كتب خاصة بهذا الباب مما يضفي عليه جانباً كبيراً من الاهتمام، وكذلك باب الوصايا، بينما لا نجد مثل هذا التقنين عند أُمم الغرب [15].

6. القدرة :حيث نجد أن فعل الخير في الإسلام ومنه الوقف في متناول الجميع، فكل إنسان قادر على فعله؛ لأنّه لا يقتصر على الماديات فحسب، فالغني بماله وجاهه، والفقير بيده وقلبه ولسانه، وكذلك المرأة، وحينما شكا الفقراء لرسول الله سبق الأغنياء لهم بصدقاتهم من فضول أموالهم بين لهم أن المال ليس الوسيلة

---

[12]. الخصاف ، ابو بكر أجمد بن عمرو الشيباني (ت261 ه)، أحكام الاوقاف ، ضبط وتصحيح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1420 ه - 1999م ، ص39

[13]. نزيه حمادي ، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء ، ص90

[14]. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الحافظ (ت ٢٧٩هـ)، السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ،حديث رقم (٣٧٠٣).

[15]. السباعي، مصطفى حسني، من روائع حضارتنا، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ب ت، ص .١٢٢-١٢١

الوحيدة لعمل الخير فقال: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة « قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر [16].

نشأة الوقف الاسلامي

ترجع بدايات الوقف في تاريخنا الإسلامي منذ عهد المصطفى صلى الله عليه و اله فهو الأسوة الحسنة في ذلك، ثم توارد الصحابة من بعده، وقد عُرف الوقف عند المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه واله حيث كان من أجود الناس في بذل الخير والصدقات، والإحسان إلى الناس، حتى أن من تناول سيرته صلى الله عليه واله ذكرو صدقاته في ابواب متعددة ، و يعد عصر الخلفاء الراشدين أفضل العصور الإسلامية بعد عصر النبوة، حيث اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وتطور المجتمع الإسلامي. ونعرض ذلك فيما يأتي :

- إنّ الوقف من الامور المحببة عند الله عز وجل ولم يرد في القران الكريم نصٌّ يشير الى الوقف بشكل صريح وانما استنبطت أحكامه من الايات القرانية "لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون" اية رقم 92 من سورة البقرة و "ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله" الآية 110 من نفس السورة ، وقد حثت الكثر من الروايات والنصوص عليه حيث كان رسول الله صلى الله عليه و اله أول قدوة في الوقف الخيري فقد أوقف سبعة بساتين للفقراء والمساكين قبل موته صلى الله عليه و اله ،وذلك أن رجلاً من أحبار اليهود يقال لـه (مخَيريق) خرج يوم أحد يقاتل مع النبي صلى الله عليه و اله، وقال: إن أُصبت في وجهي هذا فمالي لرسول الله صلى الله عليه و اله يضعه حيث شاء، فقتل يومئذ، فقَبض رسولُ الله صلى الله عليه و اله أموالَه ووقفها، وكانت سبعة حوائط بالمدينة: الأعراف، والصافية، والدلال، والميثب، وبرقة، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم، وكانت من أموال بني النضير، وكان النبي صلى الله عليه و اله يأكل منها بالمعروف .فكان المثل الأعلى لأمته في ذلك، ثم تبعه المسلمون إلى يومنا هذا ‘وقد ورد في الخبر ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه واله مر على رجل يغرس غرس في بستان له فقال له : "ألا أدلّك على غرس أثبتَ أصلاً وأسرعَ إيناعاً وأطيب، ثمراً وأنقى؟ قال: بلى فداك أبي وأمّي يا رسول الله. فقال: إذا أصبحتَ وأمسيتَ فقلْ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنّ لك بذلك إنْ قلته بكلّ تسبيحةٍ عشرَ شجراتٍ في الجنّة من أنواع الفاكهة، وهنّ من الباقيات الصالحات. فقال الرجل: أُشهدُك يا رسول الله أنّ حائطي هذا صدقةٌ مقبوضةٌ على فقراء المسلمين من أهل الصُّفّة ، أي أنّ الرجل اوقف بستانه على فقراء المسلمين ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾17"
- وأوقف أبو بكر الصديق رباعاً (دوراً) كانت له بمكة، يسكنها من حضر من نسله، ولم يتوارثوها .
- وأوقف عمر بن الخطاب أرضاً أصابها بخيبر، فقال يا رسول الله : إنّي أصبت أرضاً بخيبر لم أُصب مالاً قطُّ أنفس عندي منه، فما تأمرني؟ قال : «إن شئتَ حبستَ أصلها وتصدقتَ بها» فتصدقَ بها عمر في الفقراء وذوي القُربى والرقاب والضيف وابن السبيل، ولا جناح على من ولِيها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متَمول، ولا تُباع ولا توهب ولا تورث [18].

---

[16] . الميداني، ياسر عبد الله حبنّكة، العمل الخيري بين الواقع والطموح، طبع برعاية هيئة آل مكتوم الخيرية، ط/١ ،٢٠٠٤م، ص ٤٥.

[17] الضحى: 5 - 7. / -الأمالي - الشيخ الصدوق - ص270.

[18] الخصاف،مصدر السابق ، أحكام الأوقاف، ص ٥-٦

- وأوقف عثمان بئر رومة حيث إن النَّبي لما قدم المدينة لم يكن بها ماء يستعذَب غير بئر رومة، وكان صاحبها من بني غفار وكان يبيع منها القربة بالمد .....فشتراها عثمان بخمس وثلاثين الف درهم وتصدق بها [19]

- وأوقف علي بن أبي طالب عليه السلام عين ماء كانت له على طريق حاج مصر، وجعلها للفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد في السلم والحرب إلى يوم القيامة، ولا تباع ولا توهب [20].

تاريخ الوقف الاسلامي في العصر العثماني

لما تولى العثمانيون مقاليد السلطة في معظم البلاد العربية اتسع تبعاً لذلك نطاق الوقف، وأقبل السلاطين وولاة الأمور في الدولة العثمانية على الوقف وجعلوا له تشكيلات إدارية تشرف عليه، وامتدت الدولة امتداداً كبيراً منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) فبسطت نفوذها على مساحات واسعة في عرض العالم العربي وطوله، وتقنّن الوقف بنُظم مشددة بغية ضبطه وترتيبه، حيث أصدرت الدولة العثمانية قوانين نظام الوقف سنة ١٢٨٠هـ، ونُظّمت له سجلات خاصة، وتبعه قانون نظام توجيه الجهات الخيرية سنة ١٣٣١هـ ، ولا شك في أن هذا التوسع الكبير كان أعظم رافد لنواحي الحياة الإسلامية ونموها وانتعاشها، ومن الوظائف التي استُحدثت في الخلافة العثمانية (وظيفة الناظر الحسبي)، وكان من مهامه تفتيش أموال الوقف، وضبط مواردها وإيراداتها حسب وصية الواقف [21] .

وكان للوقف دوره الكبير في توسع المدن وتطويرها في كثير من رقعة الدولة التي امتدت إلى بلاد البلقان ، وتضخّم الوقف حتى غطّى كل البلاد العربية تقريباً لعدة قرون، ونشط التعليم وانتشر الإسلام في شبه جزيرة البلقان التي أُنشأت فيها المدارس ومن هذه المدارس مدرسة السلطان مراد الغازي بمدينة بروسا ومدرسة السلطان بايزيد الغازي في المدينة المزبورة ومدرسة السلطان محمد خان في مدينة بروسه [22]، إضافة إلى المراكز الثقافية في بغداد ودمشق وحلب والقاهرة ...، ولا تزال إلى الآن أوقاف كثيرة يرجع تاريخها إلى العصر العثماني [23].

وقد خصص دفتر يتضمن اسماء الوقفيات واوجه انفاق ايراداتها يفتتح الدفتر بديباجة بتاريخ فتح الدفتر وبذكر اسم السلطان وبعد ذلك يذكر ما يخصص لقراء كتاب الله الحكيم والقائمين بالصلاة على النبي في المدينة المنورة وقراءة سورة الفاتحة على روح والدة السلطان ثم يبدأ الدفتر بتسجيل تفاصيل الاوقاف واماكنها واوجه انفاقها ويقسم اوجه الانفاق الرئيسية الى التوزيع على فقراء الحرمين الشريفين تأتي تحت اسم اعانات ، والذين يقيمون بقراءة القران الكريم ويرفعون اصواتهم في مكة والمدينة ثواب لصاحب الوقف ، والصرة الهمايونية او تغطية النقص الحاصل فيها ، يلحق احيانا باوجه تخصيص وقف قسم اهالي الشام [24].

دور الاوقاف في الخدمات العامة في عصر الدولة العثمانية

رغم أن الأوقاف موجودة مع منذ القدم ومفيدة في كل المجتمعات، إلا أنها كانت لها دور ومكانة مختلفة في المجتمعات الإسلامية. وقد ساهمت الأوقاف في إضفاء الطابع المؤسسي على التعاون والتضامن بين الناس.

---

[19] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج1،ص300

[20] البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، حديث رقم (٢٧٣٧ ،)ومسلم، الصحيح، كتاب الوصية، باب الوقف، حديث رقم (١٦٣٢

[21] مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث ص ١٠٠٦

[22]. الشقائق النعمانية ، ص51

[23] المهيدب، أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى، ص٥4

[24] دفاتر اوقاف صرة الحرومين الشريفين في العهد العثماني ، ص611

وقد أولت الأوقاف أهمية كبيرة، خاصة في المجتمعات الإسلامية. فالأوقاف التي ساعدت في إضفاء الطابع المؤسسي على مفهوم الإنفاق لبّت العديد من احتياجات المجتمع وفي كل جانب من جوانبه . والدولة العثمانية هي إحدى الدول الإسلامية التي كانت تعتمد على نظام الوقف بشكل كبير حيث توسع حجم الخدمات الانسانية التي يقدمها الوقف حتى الى الحيوانات المريضة وممكن ان نعتبر ان الدولة العثمانية هي مؤسسة الوقف ،

وكان الأوقاف إبّان العهد العثماني تلعب دورًا مهمًّا في الإعمار والإسكان ، وقد تنوعت الخدمات التي تقدمها الاوقاف بين بناء مدرسة او جامع او جسر او تجهيز الفتيات للزواج او تعمير اضاءة للمساجد او الشوارع ، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية، والخدمات التعليمية، والدينية، وكل الحاجات الاجتماعية، كانت تلبّي من قبل مؤسسات الأوقاف ، ويعتبر الوقف عاملا مساعداً للدول وللحضارة الاسلامية على تلبية حاجات المجتمع وتقديم الخدمات المتنوعة له .

والاوقاف كانت تأتينا عن طريق عدة مصادر منها المؤسسات الوَقْفِيّة ومصدرها الدولة ، وهي التي يقوم بتأسيسها رجال الدولة ومنهم السلطان وابنائه واقاربه وفيما بعد اصبح تقليد يتبع من قبل رجالات الدولة وزوجاتهم.

والمصدر الثاني هو أوقاف المواطنين من كل الخيرين والتجار ورجال الدين والعلماء وحتى عامة الناس ، الذين يبتغون من الوقف مرضاة الله ورضوانه وصدقة جارية تكون لهم ولامواتهم ذخر في الاخرة ، وهي وان كانت قليلة لكنها كان لها دورًا كبيرًا في المجتمع .

وعليه فإنّ هذا النوع من نظام الأوقاف الخيرية، الذي أبدى تطورًا مستمرًّا في العهد العثماني، شكّل عنصرًا مهمًّا في تمويل الخدمات، وساهم في نمو المدن العثمانية وازدهارها، ومن ثَمَّ أدت هذه الأوقاف مهمّة كبيرة في ارتفاع مستوى المعيشة ومن ثَمَّ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في كل أرجاء الأراضي العثمانية [25].

وقد نفذت الخلافة العثمانية إجراءات البنية التحتية لتنمية وتطوير النجف وكربلاء ، على سبيل المثال، تمكن والي العراق حسن باشا من قمع التمردات وسد الطريق أمام الغزوات الصفوية وحظى بقبول الناس ومحبتهم،حتى اطلق عليه الناس (ابو الخيرات) حيث رمم جسر كوبري وانشأ القناطر في كركوك والموصل وقام بترميم مراقد الأئمة (عليهم السلام) في النجف والكاظمية وكربلاء، وطوّر الطرق وبنى جسوراً وطرقاً جديدة ليتمكن الحجاج والتجار من مختلف البلدان من السفر بسهولة وبنى أماكن لاستراحة الناس، وامر بشق جدول لنهر الحسينية المعروف بنهر السليماني والغى ضريبة الطمغ والباج . كما وأنشأ العديد من المدارس للتعليم الابتدائي للأطفال وتعليم القرآن الكريم. وأنفق جميع الضرائب التي حصل عليها والمبالغ التي دفعها الحجاج والمحسنون، وكذلك ادخل الوقف في العراق نفسه، وشجع الناس على الوقف، وأنشأ نظاماً فعالاً لإدارة الوقف [26].

إذن، تمتعت الأوقاف بمكانة رفيعة مرموقة لدى الدولة العثمانية، وأصبحت جزءًا أساسيًّا من حضارتها ، وكان السلاطين يعينون متولين على اوقافهم من العلماء وبعد نهاية خدمتهم وتقدم العمر بهم وعدم استطاعتهم تولية الاوقاف يعين لهم راتب شهري شبيه بالراتب التقاعدي فقد عين الوزير محمد باشا القراماني الشيخ امر الله ابن اق شمس الدين تولية اوقاف الامير البخاري بمدينة بروسه عوض عن اوقاف املاكه المأخوذه منه عندما جاء يشتكي الى السلطان محمد خان وبعدها صار متولياً على اوقاف السلطان مرادخان في بروسيه وعندما مرض بسبب النقرس فصار متقاعداً فعين له السلطان كل يوم 50 درهماً [27] ، وقد بنا السلطان بايزيد خان اوقاف الزاوية للشيخ محي الدين المسفور[28]، ونجد ان اغلب علماء الدين كان يبني مسجد او زاوية او مدرسة وفي بعض الاوقات يدفن الشخص في المسجد الذي بناه ، وقد أقامت الخانات التجارية الوقفية، والأسواق لكل الأمتعة والسلع ، من أقمشة ومجوهرات وأسلحة، وشيدت القصور الوقفية

[25] الارنوط، مصدر السابق ، دور الوقف في المجتمعات الاسلامية ،ص81
[26] الدكتور عبد العظيم عباس نصار ،بلديات العراق في العهد العثماني ، ص73
[27] ابو الخير ، الشقائق النعمانية ،ص145
[28] ابو الخير ، الشقائق النعمانية ، ص440

العديدة على الطرق بين المدن والمناطق لتحط القوافل التجارية وقوافل المسافرين رحالها، وتستريح وتأمن شرَّ الأشقياء وقطاع الطرق، كما وساهمت هذه الأوقاف في تطور الفنون الجميلة كالخط والتذهيب والزخرفة والأبرو (فن الرسم على الماء) وتجليد الكتب حيث كانت سببًا لآثار فنية عالية المستوى، كما أنّ للأوقاف أهمية كبيرة أيضًا، في مجال اللغة والثقافة والتاريخ والقانون وحتى في الفولوكلور.

حتى ان الاوقاف كانت تدفع لبعض الشيوخ مقدار من الاوقاف لسد العيش فمثلا اوقف السلطان مراد خان من اوقاف عمارته في مرزيفون خمس دراهم للشيخ العارف عبد الرحيم بن الامير عزيز المريزفوني وبعد ذلك ازاد عليها ثلاث دراهم وعين له كل سنة من الغلة 10امداد [29].

ومن هنا يتبين ان الاوقاف في الدولة العثمانية لم تترك مجال من مجالات الحياة الا وولجت بها وقدمت مساعداتها وخدماتها للناس وبفضلها استمرت خدمات الصحة والتعليم والمساعدات وانشاء الطرق وحفر الابار وغيرها من الامور التي لم يكن باستطاعة الدولة متابعتها لولا الاوقاف وما يصلها من ايرادات من المتبرعيين ،

و الأوقاف التي تقدم الخدمات للمجتمع اليوم، و تتبناها الدول وتقوم هي بتمويلها و إدارتها ، كانت تؤسَّس وتُدار وتموَّل من قبل أشخاص عاديين في الدول العثماني، ومن الصعب أن نجد اليوم دولة من الدول، يقوم أفرادها باستقلال ذاتي لتمويل الخدمات العامة مثلما كانت الحال في الدولة العثمانية [30] .

كانت الأوقاف النقدية أحد أنواع الأوقاف في الإمبراطورية العثمانية ويعتمد على تأجير الاراضي والدكاكين والدور لتغطية نفقات المؤسسات الخيرية و تم استخدام إيرادات الأموال التشغيلية في اتجاه غرض الوقف وقدمت الاوقاف النقدية العديد من الخدمات الضروريات الحيوية للمجتمع مثل التعليم والدين في الفترة التي كانوا نشطين فيها في الإمبراطورية العثمانية. وكانت الوظيفة الأخرى لهذه الأوقاف هي العمل كآلية للقروض الصغيرة لتمويل مشاريع التجار والمزارعين واصحاب الحرف بقروض ذات فائدة قليلة تتراوح بين 10% الى 11% وبالتالي كانت هذه الأوقاف بمثابة قنوات لنقل الموارد فضلاً عن كونها مؤسسة خيرية في المجتمع [31].

نماذج من الأوقاف في عصر الخلافة العثمانية

رغم انتقال مؤسسة الخلافة بعظمتها وهالتها لأول مرة منذ عهد النبي من الأقاليم العربية سواء في الشام أو العراق أو مصر إلى بلاد الأناضول، إلا أن ذلك لم يغير من الأمر شيئا، إذ الإسلام هو الإسلام في أي أرض وتحت أي سماء، فلقد التزمت الخلافة العثمانية بتعاليم الإسلام وأخلاقياته ونظمه، ومن ثم لم تتوقف حركة المجتمع الإسلامية وكذا الدولة في إنشاء الأوقاف الجديدة، وترميم القديمة، ووضع نظم وتشريعات لإدارتها بطرق سليمة ميسورة فقد اهتمت الخلافة العثمانية بالأوقاف على كافة مستوياتها ، ونظمت هذه الأوقاف وفقا المجموعة من القوانين وضعها ونظمها كبار الفقهاء والعلماء في ظل هذه الدولة، فعلى صعيد الوقف الديني المتمثل في إقامة المساجد والجوامع العامرة بذكر الله ، فقد تزامنت هذه الأوقاف مع قيام الدولة، وبلغت أوجها في ظل التوسع والانتشار الذي حقه في البلدان الإسلامية في المشرق والأوربية في الغرب.

فقد انتشر العمران في زمن السلطان اورخان وفتح المدارس وبنى الجوامع والتكايا وله اثار عديدة في العمران منها انه اسس مدرسة عالية في مدينة بورصه وفي مدينة ازنيك قام ببناء عدة مدارس وتكايا للفقراء

[29] ابو الخير ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، ص43
[30] حسان حلان ، أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العلماني ، ص151
[31] الارنؤوطي ،تطور وقف النقود في العصر العثماني ، ص109.

والمعوزين32 ، كما وقد قام السلطان مراد الثاني ببناء عدة اوقاف وعمارة في مرزيفون [33] ، وكان لبايزيد الثاني اوقاف متعددة منها اوقاف الزاوية [34] .

وقلما خلا عهد خليفة من خلفاء العثمانيين من إنشاء مسجد موقوف لله ، فقد أنشأ الخليفة مصطفى الثالث (1187ه - 1774م) جامعا كبيرا في إسكدار ، ووقف عليه خيرات كثيرة، وأصلح جامع السلطان محمد الفاتح التي زلزلت أركانه زلزله شديدة [35] .

كما أهتم كثير من ميسوري المسلمين وكبار الموظفين بإنشاء هذه المساجد، وإنشاء الأوقاف عليها، ففي دمشق أنشأ صالح آغا بن صدقة - أحد كبار أثريائها ومتقدميها (ت 1100ه) - «خيرات و عمر مسجدا شرقي داره، وأوقف له أوقافا، ورب فيه أجزاء ومؤذنين ، ومثله ما فعله الخواجا عمر السفرجلاني (ت 1112ه) أحد أثرياء دمشق؛ فقد "عمر مسجدا كبيرا له مئذنة، وله أرناف ومبرات لا تحصى" وفيما يتعلق بأوقاف قاطني الحرمين الشريفين فلقد سعت المؤسسات الرسمية في الدولة وعلى رأسها السلطان نفسه يوقف الأوقاف النافعة للفقراء والمحتاجين فقد رتب السلطان سليم الاول (1512-1566م) صدقة الحبوب واشترى ارض بمصر وجعل محصولها لذلك وقام بكسوة الكعبة ويعتبر اول من كسى الكعبة من ال عثمان [36]، اما بالنسبة للسلطان سليمان القانوني(1520-1566م) فقد كان يرسل الصرة الموجهة الى الحرمين الشريفين بعناية ويضيف عليها مبرات اخرى منها توجه ضريبة الجوالي للعلماء والفقراء من اهالي مكة [37]، و جعل السلطان مراد الثالث بن سليم الثاني (1574-1595م) دشيشة[38] لأجل فقراء المدينة الشريفة ، ووقف عليها أوقافا كثيرة وبها النفع التام لأهل المدينة ، ويأتي وقف السلطان أحمد الأول بن محمد الثالث (ت 1026هـ-1617م) من جملة هذه الأوقاف النافعة، فقد عمل سحابة بطريق الحاج المصري يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها أوقافاه .

وامتد الاهتمام بإنشاء الأوقاف إلى الحرمين الشريفين والقائمين عليه من الموظفين والعمال، حيث رتب الخليفة علي محمود الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول (ت 1255ه-1839م) "مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين، وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين، مثل: المؤذنين ، والفراشين، والكناسين، والبوابين، وجعل الجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة، بعضها شهريات وبعضها سنويات، واشترى لذلك عقارات كثيرة، وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة، فصارت حسنة جارية إلى هذا الوقت؛ يحصل منها كمال النقع والإعانة للمذكورين على معاشهمها [39].

ومن الأوقاف الجميلة التي تعبر عن رعاية الخلافة العثمانية للحجاج: وقف سكة حديد الحجاز، فقد كانت أملاك وعقارات هذا الوقف تقع في ساحة البرج في بيروت، وهو أكبر عقار منفرد في الساحة، وكان الهدف من إيجاد هذا الوقف العقاري تأمين أموال مسؤولية للإنفاق على سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة، وتسهيلا للحجاج في طريقهم للحج إلى بيت الله الحرام، وهذه السكة هي التي كان قد خربها لورنس العرب [40] خلال الحرب العالمية الأولى (1914م- 1918م)[(2)].

---

[32]. تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص125

[33].الشقائق النعمانية ،ص43

[34]. الشقائق النعمانية ،ص440

[35] محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص[340]

[36] دفتر اوقاف صرة الحرمين الشريفين في العهد العثماني ، ص606

[37] المصدر نفسه ، ص607

[38] الدشيشة عبارة عن حساء مصنوع من القمح المدشوش انظر موسوعة مراة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ،ج4،ص497.

[39] المحبي؛ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ص[182]

[40] لورنس العرب: هر توماس إدوارد لورع ضابط المخابرات البريطانية في الجزيرة العربية، اقترن اسمه بأحداث من تاريخ العرب الحديث، ولد عام 1888م وتوفي صريفا في بريطانيا عام 1935م . الزركلي: الأعلام 94

ومن الأوقاف الرائعة التي أنشئت من أجل الفقراء ما قام به الخليفة عبد المجيد خان الأول بن محمود الثاني (ت 1277ه-1861م) حيث وفق الى احياء وتعمير حرم السعادة وقام بهدم مدرسة بشير اغا التي اشرفت على الخراب واسس مكانها سبيلا في سنة 1262هـ ، كما طهر البالوعات واصلح الارصفة ونظفها ونظف اطراف المسجد الاربعة من القذارة والعفن وارسل السجاجيد لفرشها في حرم السعادة ووقطعتين من الشمعدان الكبير الذي اضاء فيه المحراب العثماني حيث كان المسلمون قبل ذلك يؤدون صلاتهم في الظلام ، وقد جاء في مراة مكة ان عبد المجيد قد عمر وجدد مقرة العلا والاساطين التي اشرفت على خراب المسجد الحرام ومسجد الخيف وجدار الحطيم الشريف وسجد الطائف ومرقد الطاهر ابن الرسول صلى الله عليه واله ودار الخيزران ومولد حمزة وقباب الشهداء ومذبح اسماعيل وبركة اليماني وضريح ميمونة [41].

ولم يكن الوقف خاص بالسلاطين فقد ساهمت الأسر والعائلات الكبيرة في إنشاء عدد من الأوقاف الدارة للفقراء والمعوزين كما وأنشأ أهل الخير العديد من المؤسسات الخيرية والوقفية للتعامل مع شؤون الأيتام والمسافرين وتوفير المياه والإنارة وكافة الخدمات الحضرية. والعشرات من المساجد والمدارس والمراكز العلمية والخدمية. وبطرق مختلفة، ففي العراق مثلاً قامت بعض العوائل المعروفة مثل اسرة الجليليين بالظهور في الساحة السياسية عن طريق التبرع بالاموال منها عندما اصاب خزينة الدولة نقص حاد ولم تستطيع اكمال مشاريعها الاصلاحية في الموصل ومنها مشروع بناء قناطر حجرية على جسر الموصل عام 1133 وبعد عجزه عن اكمال المشروع تبرع اسماعيل الجليلي ببناء هذه القناطر ودفع ثلثي الضرائب على اصحاب الحرف والصناعات كما وبادرت هذه الاسرة على تحمل نفقات الجيش الموصلي الذي ساهم مع العثمانيين في احتلال الاراضي الايرانية [42]. وأوقف "آل بريطم"[43] بستان كبيرة في زقاق بليبل (بكربلاء) أوقفت حاصلاته لإطعام الفقراء [44].

وكان للعلماء دور بارز في الاوقاف فهذا نور الدين حمزة وهو عالم فاضل مشهور بباوح باشا على الرغم من انه حريصاً جداً على جمع المال ويقلل من تكاليف معيشته ويلبس ادنى الثياب وحتى انه لا يركب فرس لكنه قام ببناء مسجد بمدينة قسطنطينية قريبه من بيته وبنى ايضا حجرات لسكن العلماء وعين لهم دراهم واوقف اوقاف كثيرة حتى ان الوزير ابراهيم باشا قال له سمعت انك تحب الاموال كيف صرفتها بالاوقاف قال له : انا ايضا من محبتي للمال لا اريد ان اخلفه في الحياة الدنيا واريده معي في الاخرة [45].

وعنيت الخلافة العثمانية بإنشاء المستشفيات الموقوفة ، كما حرصت على ترميم ما نشفت من البيمارستانات التي أقيمت في العصر المملوكي و الزياني و الطاهري ، أو بالأحرى الدول التي ورثتها الخلافة العثمانية، ففي مصر تم ترميم كثير من مستشفيات العصر المملوكي ، وفي مقدمتها البيمارستان المنصوري في القاهرة اقا، وفي دمشق حرص الباشاوات (الولاة) على تجديد عمارة البيمارستان النوري والقيمري، وهما من أشهر المستشفيات الإسلامية في ذلك الوقت، وكانا قد اضمحل وقفهما، فحرصت مؤسسة الخلافة على اختيار أفضل المتولين أصحاب الخبرة والكفاءة الادارة هذه الأوقاف، وكان حسن باشا بن عبد الله الأمين (ت 1027ه1618م) من أصحاب الكفاءة والخبرة؛ فقد "ولى وقف البيمارستان النوري، فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت و عمر أوقافه، وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه ، فاستدعاء المولى مصطفى المعروف بكوجك قاضي القضاة بدمشق و لولاية البيمارستان القيمري فأبى، حتي أبرمها عليه هو ورئيس الأطباء بدمشق الشيخ شرف الدين لاضمحلال حاله ، ثم قبله على شريطة أن لا يتناول فيه رئيس الأطباء بعض أشياء عينها ، ولا يخالطه من أموره بسوى قبض القدر الفلاني من علوفته ، فإنه بسبب تجاوزه

[41] موسوعة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، ج4،ص591
[42] بلديات العراق في العهد العثماني ، ص70
[43] ال بريطم من الاسر العربية العريقة من قبيلة (شمر) وقد سكنت في كربلاء في القرن 12هـ انظر مدينة الحسين ج5، ص96
[44] حسان حلان ، أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العلماني ، ص151
[45] ابو الخير ، الشقائق النعمانية ،ص240

وتجاوز أمثاله خرب الوقف؛ فقبل القاضي والرئيس شرطه وعمره، ونمى وقفه، وولي تولية الجامع الأموي بعد أن كاد وقفه يذهب، فبذل جهده في ضبطه وتنميته [46].

وقد قام احمد افندي ببناء مستشفى على اسم محمد باشا لعلاج غرباء دار السكينة وكفل لها اطباء وخدم واوقف لها العقارات والاملاك ومع مرور الايام انهارت اكثر هذه المستشفيات ولم ترمم ابنيتها وفي سنة 1255م تم جراية الخبز لمرضاها حتى ان المرضى الذين كانو يملون من حياتهم يذهبون لهذه المستشفى الى ان يحين اجلهم [47]، وقد قام والد السلطان كثير المحامد بتعمير الاماكن الخربة من المستشفى والحق بها مخزن ادوية وصيدلية وخصص لها ادوا الجراحة والاطباء والصيادلة والجراحين والخدم وكل ما تحتاجه من معدات طبية ، وادخل السلطان مراد الثالث شونة مخزن الينبع داخل السور ليحميه من هجمات العربان واصلح جدرانه وشيده بغاية المتانة وخصص صرة سلطانية تحتوي على اربعة واربعون مدقطعة ذهبية وخصص منها احد عشر الف قطعة ذهبية لاهل مكة والبقية لسكان دار السكينة في المدينة [48]،

ففي القرن السادس عشر كان نظام الاوقاف لدى الدولة العثمانية يعتمد بنسبة 20% على الاراضي و15% على الاسهم المقبوضة من واردات الدولة ، ونسبة الاوقاف من واردات الدولة تشكل 12% وقد ازدادت حتى بلغت 20% ، اما في القرن التاسع عشر فقد زادت الاوقاف بنسبة 42% من اوقاف رجال الدولة و16% من اوقاف العلماء ، و9% من اوقاف اصحاب الطرق الصوفية و2% من اوقاف اصحاب الحرف والصناعات ، و18% من اوقاف النساء و11% من اوقاف اصحاب المهن المختلفة 49.

اراضي الدولة العثمانية

توسعت الامبراطورية العثمانية حتى اصبحت اراضيها تمتد الى ثلاث قارات اسيا واوربا وافريقيا حكمتها لمدة 6 قرون وهذه مدة زمنية طويلة فرضت من خلالها الدولة العثمانية سيطرتها واحكمت سيادتها على كل المناطق التي دخلت في حكمها وتم ربطها بالسلطة المركزية للدولة العثماني ، وكان بالاضافة الى القوة العسكرية التي ساهمت ببناء الدولة العثمانية كانت هناك سياسة ومنهج متبع من قبل السلاطين المؤسسين حيث عملوا على الاصلاح والعمران وتنظيم الادارة وقوى الجيش وبناء المساجد وانشاء المعاهد العلمية تشرف عليها الكفاءات

من الوزراء والولاة والقضاة الذين عينوهم السلاطين العثمانيون ليتولون ديمومة الحياة وكانت في كل قرية مدرسة وفي كل مدينة كلية تعلم النحو وتركيب الكلام والمنطق وفقه اللغة والابداع والبلاغة والهندسة والفلك وتحفيظ القران والعقائد والفقه [50].

ان النظام الاقتصادي في الدولة العثمانية - إلى جانب الإقطاع الذي ورثته من الدول الإسلامية المتلاحقة كان يعتمد بنسبة كبيرة على الزراعة، الأمر الذي أكسب أنظمة الأراضي مكانة متميزة ضمن البُنى الاقتصادية العثمانية، ونظام الأراضي هذا، كان يتمثل بنظام التيمار وهو مصطلح جرى استعماله في الدولة العثمانية من خلاله يتم استخدام الأراضي من قبل الرعايا مقابل الوفاء ببعض الالتزامات حيث ياخذ الشخص المقطع حق الارض من الغلة وتبقى بقيتها للعاملين في هذه الارض وملكيتها لبيت المال ويسمى الشخص التيماري[51] ، كما كان أصحاب التيمار بالمقابل، ملزم بتجنيد نفسه وابناءه واتباعه او عدد من الجند للخدمة في القوات البحرية او البرية اذا ما دخلت الدولة في حرب ، وقد ظل التيمار قائما كوسيلة اقتصادية للقوات

[46] الجبرتي ،مصدر السابق ، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، ص130
[47] موسوعة مراة الحرمين الشريفين ج4،ص496
[48] المصدر نفسه ،ص497
[49] نعمان ترك اوغلو ، مجلة حراء التركية .
[50] محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ،ص 56
[51]. نزية حماد ، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء ،ص42

العسكرية الى ان الغاه السلطان محمود الثاني في عام 1247م[52]، ولم تكن الدولة تقوم بجمع الموارد الزراعية في مركز واحد، وإنما أعطتها فرسان التيمار لتتمكن من تأمين جنودها أثناء الحرب من جانب، ومن تأمين مواردها الزراعية أثناء السِّلم من جانب آخر، وبذلك توفر لها نظام متكامل، وكانت ما نسبته 20% من الأراضي تدخل ضمن نظام الأوقاف لدى الدولة العثمانية في القرن السادس عشر، وهذا النظام يملك دورًا مهمًّا في خدمات المتنوعة التي تقدم للمجتمع من خدمات ثقافة وتعليمية وصحية والبنية التحتية وأشغال المرافق العامة والخدمات الدينية والاجتماعية، علاوةً على المساهمة في تأمين الضمان الاجتماعي، والعمل الخيري في مختلف الميادين .

الخاتمة

عرف الوقف قديما منذ بداية الدعوة الاسلامية واستمر الى ان وصل الى الدولة العثمانية التي كان لها الدور الكبير في انشاء الوقف والاعتماد عليه بشكل كبير في ادارة امبراطوريتها التي دامت 6 قرون وقد كان لمؤسسة الوقف الدور الكبير في تقديم الخدمات للمجتمع وتعبيد الطرق وبناء الجسور والمدارس والمستشفيات والكثير من الخدمات التي لم يكن باستطاعة الدولة توفيرها لولا وجود الاوقاف وتنوعت الاوقاف بين اوقاف نقدية واوقاف اراضي واقطاعات وغيرها ، حتى في مجال اللغة والثقافة والفلكلور ولم تترك مجال من مجالات الحياة الا دخلتها وقدمت الخدمات لاهلها وبفضلها استمرت خدمات التعليم والصحة وتعبيد الطرق وبناء المدارس والمساجد الى وقتنا الحاضر على الرغم من هذه الاوقاف كانت تدار وتمول من قبل اشخاص عاديين قبل ان تقوم الدولة العثمانية بتشكيل وزارة لها تدار من قبلها .

مصادر البحث

1. ابن كثير ، اسماعيل بن كثير الدمشقي ، ت 774هـ ، تحقيق علي شيري، دار احياء التراث ، ط1 ، 1988م، جزء 11 .
2. ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي المصري (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/١ ،٢٠٠٠م، مادة (وقف).
3. ابو الخير احمد بن مصطفى ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربي – بيروت .
4. أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني (ت ٢٦١هـ)، أحكام الأوقاف، ضبط وتصحيح :محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١ ،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م،
5. ابو الخير احمد بن مصطفى طاشكبري،ت968هـ ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربي – بيروت .
6. ابن الحنبلي رضي الدين محمد الحلبي ، ت971هـ ، درر الحبب في تاريخ اعيان حلب ، تحقيق محمود حمد الفاخري و يحيى زكريا ، دمشق ،1972 م ، ج1
7. أحمد محمد عبد العظيم، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام، القاهرة، ط/١ ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ،
8. الأرنؤوط، محمد موفق، دور الوقف في المجتمعات الإسلامية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط/١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،
9. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف
10. التاريخ الاسلامي / العهد العثماني / محمود شاكر / المكتب الاسلامي / ط 4 / 2000 م /
11. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الحافظ (ت ٢٧٩هـ)، السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ،

[52]. ابن الحنبلي ، در الحبب في تاريخ اعيان حلب ،ج1،ص34

12. الجبرتي: تاريخ عجالب الآثار في التراجم والأخبار 1931 م/ دار المكتبة / ط 3
13. السباعي، مصطفى حسني، من روائع حضارتنا، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ب ت
14. الميداني، ياسر عبد الله حبنّكة، العمل الخيري بين الواقع والطموح، طبع برعاية هيئة آل مكتوم الخيرية، ط/١ ،٢٠٠٤م .
15. ايوب صبري باشا ، موسوعة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ،ت1890م، ترجمة الدكتور محمد حرب ، دار الافاق العربية ، ج4، 2004م .
16. رفيق العظم ، موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني ، مكتبة لبنان ناشرون – لبنان ، 2004م .
17. رفيق العظم ، مصطلحات الامام الغزالي ، مكتبة لبنان ناشرون – لبنان،2000م
18. عبد العظيم عباس نصار ، بلديات العراق في العهد العثماني 1534م-1918م دراسة تاريخية وثائقية ، المكتبة الحيدرية ، ط1 ، 1385هـ .
19. كمال الحوت، (الوقف وأحكامه)، مقالة، جمعية الاشراف
20. محمد علي الصلابي، (الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط)، دار التوزيع، ط1، بورسعيد، مصر، 2001
21. مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف،
22. محمد باقر المجلسي ، بحار الانوار لدرر اخبار الائمة الاطهار، دار الوفاء بيروت – لبنان ، ط2، ج2 ، 1983م.
23. محمد حسن مصطفى ، مدينة الحسين (مختصر تاريخ كربلاء) ، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ج5، 2016م.
24. محمد فريد بك ، ت1338هـ ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق احسان حقي ، دار النفائس بيروت – لبنان ، 1981م.
25. نزيه حماد ، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء ، دار القلم – دمشق ، 2008م .
26. ياقوت الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ، ت626هـ ، معجم البلدان ،1979م ، ج1.
27. Halil İnalcık, Studies in the economic history of the Middle East : from the rise of Islam to the present day / edited by M. A. Cook. London University

المجلات

28. الأرناؤوط، محمد موفق أحمد. 2013-12-31. تطور وقف النقود في العصر العثماني ، دراسة تحليلية ببليوغرافية (1974-2010 م،هيرندن، فرجينيا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
29. أ.م.د. عمر ابراهيم محمد الشلال ، دفاتر اوقاف الحرمين الشريفين في العهد العثماني ، المجلد الخامس عشر ، العدد 61 ، السنة الرابعة عشر ،2019.
30. نعمان ترك اوغلو ، مجلة حراء التركية ، 1433/10/27 .